دعوة الإمام

محمد بن عبد الوهاب

في ميزان السنة والكتاب

إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين

سنن الترمذي

كتبه

أضعف عباد الله وأحوجهم إلى عفو الله

محمد فاضل

خويدم العلماء وتراب أقدام الفقراء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح قلوب المؤمنين بعرفانه، وأوضح نهج الحق بلائح برهانه، والصلاة والسلام على رسوله محمد مظهر أسمائه، وعلى آله وأصحابه وسائر أتباعه صلاة وسلاماً باقيين إلى يوم لقائه، أما بعد:

فهذه ورقات تبين مدلول التوحيد وتكشف ما طرأ على هذا المفهوم من زيف وتلبيس وتجيب المستفهم عن غايات هذا التحريف ومراميه وما أحدثه في تصور المسلم لمسائل التوحيد ومقامات التجريد.

مقدمة

اعلم أيها اللبيب الرشيد، المتوجه نحو التوحيد، وفقك الله إلى إنجاح مهامك، وأوصلك إلى منتهى مقصدك ومرامك، أن تتوجه إلى كتاب ربك، وتتذكر ما فيه من المواعظ والأخبار على وجه الاستبصار، وعليك أن تتوسل في استرشادك من كتاب الله بأحاديث رسوله المختار، إذ هي مبينة له، كاشفة عن سرائره ومرموزاته، موضحة لما فيه من الغوامض، متكفلة لسلامة عقيدتك من العوارض، فلك أن تواظب على الاستفادة منها ناوياً استخلاص نفسك عن ربقة التقليد، ملتزماً سنة إبراهيم عليه السلام التي هي سنة نبيك ﷺ القائل: (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) وإبراهيم عليه السلام من الكُمَّل في مرتبة التوحيد ومقام التفريد، حتى أمرنا بمتابعته على طريقه القويم وسبيله المستقيم، وقد سأل أن يعلم بالعيان ما عَلِمَ بالدليل لأنه أبلغ في اليقين. ودلت نصوص الكتاب والسنة على ذم التقليد كما جاء في صحيح الإمام البخاري من

حديث أسماء أن رسول الله ﷺ قال: (وأوحي إليَّ أنكم تفتنون في القبور قريباً من فتنة الدجال فأما المؤمن أو المسلم فيقول: محمد جاءنا بالبينات فأجبناه وآمنا، فيقال: نم صالحا علمنا أنك موقن، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: **لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته)** ورُوي أن إبليس تمثل لعيسى عليه السلام فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: كلمة حق أقولها لا لقولك. وذلك لأن لإبليس تحت الخير تلبيسات لا تتناهى يُضل بها أصناف الخلق. لقد وهب الله سبحانه للإنسان العقل المميز والإرادة الحرة والفطرة السليمة واستنقذ ما ران عليها بحجية الكتب والرسل لينضبط المؤمن بموازين المنهج الإلهي الممثل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، يكون مع الحق حيث كان، لا ينصرف إلا لطريقة المتابعة المحمدية في الأقوال والأفعال، لا تميحه العصبية هكذا وهكذا، متى صرعه الحق انصرع له، ولو جرى على لسان رقيقه ومملوكه، وشعاره الدائم: الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها في تثبت ويقين، والملك لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

توحيد الربوبية

الربوبية تقتضي المُلك، ونظير هذا الاستعمال ما أنشده القرطبي:

إذا قيل من ربُّ المزالف والقرى ... وربُّ الجياد الجرد قلت لَخالدُ

والرب: يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والقيم، والمعنى الحقيقي للرب هو من بيده أمر التدبير والسيادة والتصرف والقيام بالمصالح، قال تعالى ﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾ وفي هذه الآية الكريمة ونظائرها: أدلة مشهودة على حقية ربوبيته سبحانه وعلى حقية ملكه وكمال حكمته في تصرفه بعباده...قال صاحب لسان العرب: الرب هو الله عز وجل هو رب كل شيء أي مالكه وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، قال: ويقال الرب بالألف واللام لغير الله وقد قالوه في الجاهلية للملك؛ قال الحرث بن حلزة:

وهو الرب والشهيد على يوم ... الحيارين والبلاء بلاء

والاسم: الربابة؛ قال:

يا هند أسقاك بلا حسابه ... سقيا مليك حسن الربابه

والربوبية: كالربابة، وعلم ربوبي: منسوب إلى الرب على غير قياس.

وفي حديث عروة بن مسعود رضي الله عنه: لما أسلم وعاد إلى قومه دخل منزله فأنكر قومه دخوله قبل أن يأتي الرَّبَّة يعني اللات. قال الشاعر:

له رَبَّة قد أحرَمت حِلَّ ظهرِه ... فما فيه للفُقرَى ولا الحجِ مَزعمُ

قال صاحب شمس العلوم: الربة: المالكة. وقال الإمام القرطبي: "رب العالمين" أي مالكهم، وكل من ملك شيئاً فهو ربه...والرب: السيد ومنه قوله تعالى "اذكرني عند ربك" وفي الحديث: «أن تلد الأمة ربتها» أي سيدتها...والرب: المصلح والمدبر والجابر والقائم، قال الهروي وغيره: يقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربه يربه فهو رب له وراب، ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب، وفي الحديث: «هل لك من نعمة تربها عليه» أي تقوم بها وتصلحها، والرب: المعبود، ومنه قول الشاعر:

أربٌّ يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

ويقال على التكثير: رباه وربه وربته، حكاه النحاس. وفي الصحاح: ورب فلان ولده يربه ربا وربه وتربه بمعنى أي رباه. والمربوب: المربى...واختلف في اشتقاقه، فقيل: إنه مشتق من التربية، فالله سبحانه وتعالى مدبر لخلقه ومربيهم، ومنه قوله تعالى "وربائبكم اللاتي في حجوركم" فسمى بنت الزوجة ربيبة لتربية الزوج لها، فعلى أنه مدبر لخلقه ومربيهم يكون صفة فعل، وعلى أن الرب بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات. اهـــ. وإذا كان هذا الدليل حجة على الجاهليين القدامى في تقرير الربوبية، فهو كذلك يواجه لوثات الجاهلية الوهابية التافهة...وأول آية نزلت في القرآن تضمنت توحيد الربوبية ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ والمعنى اقرأ باسم ربك المنفرد بالربوبية بما ثبت من تمام قدرته بإبداع الصنع والاختراع والإيجاد والتكوين...والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى

النبي ﷺ للإيذان بفيضان إحسانه إليه وعنايته الخاصة به ورعايته وإمداده وإعداده وتهيئته وتأييده ونصره في جميع أطواره وتقلباته وفيه إشعار بعلية الربوبية والمالكية والحَكَمية وهذه الآية تفسيرية لما أحكم من الآيات لأن توحيد الربوبية هو الأصل وإليه مرجع جميع الصفات التي ثبتت لله تعالى بالدليل وهو الذي يتفرع عنه جميع التفاصيل، ولذلك تكرر الأمر بتوحيد الربوبية والاستدلال عليه في القرآن، وأول ما يلازم حقيقة التوحيد أن تتوحد الربوبية فتتوحد العبودية كما في قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ وقد جاء الأمر الإلهي لأبي الأنبياء مرشداً إلى أصل الإسلام وأساس التوحيد ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ وهذه الآية تضمنت جماع معاني التوحيد، فإبراهيم عليه السلام يَذكُر الله بصفة الربوبية الدالة على السلطة العليا والسيادة المطلقة السرمدية، وهي القضية العملية الواقعية المؤثرة في حياة البشرية! وهي مفرق الطريق بين الإسلام والجاهلية وبين التوحيد والشرك، فإما أن يدين الناس لرب واحد وإما أن يدينوا لأرباب متفرقة! ولذلك قال إبراهيم ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ وجاء التعبير بهذه الصيغة دون قوله: أسلمت لك ليأتي بالإسلام وبدليله، والمعنى استسلمتُ للملك الحق الذي تحقّ له الربوبية والملك والسيادة والسياسة، والإسلام إنما سُمّي إسلاماً لهذا المعنى وهذه هي ملة إبراهيم وهذا هو التوحيد بشموله وهذا هو الإسلام الخالص الصريح، لا يرغب عنه إلا ظالم لنفسه سفيه

عليها ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ ثم حكى تعالى عن إبراهيم أنه بالغ في وصية بنيه وذَكرَ عَقِيبه أن يعقوب وصّى بنيه بمثل ذلك تأكيداً للحجة على اليهود والنصارى ومبالغة في البيان ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ والمقصود - والله أعلم - بعثهم على الإسلام والدوام عليه وذلك أن المرء يخشى أن تعاجله المنية فيفوته الظفر بالنجاة، والوصية دالة على أن شفقة الأنبياء على أبنائهم كانت في باب الإسلام وهمتهم مصروفة إليه دون غيره. قال الراغب الأصفهاني في تفسيره: وقوله "بها" أي بالملة وقيل بالكلمة التي دل عليها قوله "أسلمت" وكلاهما غير منفك من الآخر إذ كانت هذه الكلمة من جملة الملة، والملة مقتضية لهذه الكلمة فبين تعالى أن إبراهيم وصى بنيه ووصى يعقوب بنيه أيضاً بها كما أوصى إبراهيم وقال "إن الله اصطفى لكم الدين" أي دين إبراهيم فحذف القول لتضمن الوصية لذلك. اهـــ. وقد احتج عليهم تعالى بقوله ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك **رب** العالمين﴾ أي ذلك رب جميع الخلائق، الرب العظيم الشأن الذي تحقّ له الربوبية والسلطة العليا والسيادة المطلقة على نحو ما ورد في الحديث عند الإمام أحمد: «السيد الله» أي الحَكَم الذي يسوس الخلق ويملك نواصيهم هو الله سبحانه، استحق ذلك لأنه عز وجل خلق كل شيء، وكل شيء قام به

تعالى، وهو سبحانه قائم عليه، وهذه الربوبية التي عناها مؤمن آل فرعون في قوله ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول **ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم**﴾ أي جاءكم بالدلائل الدالة على توحيد الربوبية وفي ذكر الرب تذكار لهم في أنه سبحانه كان يربيهم ويصلح حالهم إذا كان سيدهم ومالكهم وهم عبيده. روى الإمام أبو داود عن زيد بن أرقم قال: سمعت نبي الله ﷺ يقول في دبر صلاته: «اللهم ربَّنا وربَّ كل شيء، أنا شهيد أنك أنت الربُّ وحدك لا شريك لك» الحديث، ومَن تأمّل الأدعية المذكورة في القرآن وجدها غالباً تُفتتح باسم الربّ. وهذا الذي هدى الله إليه فتية أهل الكهف حين ثبّتهم فقاموا معلنين توحيد الربوبية ﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا **ربنا رب** السماوات والأرض﴾ والقول مسوق إلى قومهم المشركين إذ قصدوا به إعلان إيمانهم بين قومهم وعدم الاكتراث بتهديد الملك المنافق وآلهته. ونظير هذا قول الرجل المؤمن ﴿إني آمنت **بربكم** فاسمعون﴾ وقال سبحانه ﴿والذين هم **بربهم** لا يشركون﴾ وحين أرسل تعالى موسى وهارون إلى فرعون حقّق الأمر بقوله ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا **ربك** فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من **ربك**﴾ وخصّ الرب بالإضافة إلى ضمير فرعون قصداً للتعريف بهذا التوحيد الذي أنكره فرعون ﴿قال فمن ربكما يا موسى﴾ يعني من ربكما الذي تسعيان لتقرير سلطانه وحكمه؟ وأعرض عن أن يقول: فمن ربي؟ إلى قوله ﴿فمن ربكما﴾ إعراضاً عن

الاعتراف بالربوبية، فأجاب موسى بإثبات الربوبية لله لجميع الموجودات ﴿قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾

جاء في الرسالة الثالثة عشرة في توحيد العبادة لمحمد بن عبد الوهاب ما يلي: واعلم أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صفة إشراكهم أنهم يدعون الله ويدعون معه الأصنام والصالحين مثل عيسى وأمه والملائكة يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وهم يقرون أن الله سبحانه هو النافع الضار المدبر...ثم قال: وعرفت أنهم لا يعرفون إلا التوحيد **توحيد الكفار توحيد الربوبية** عرفت كبر نعمة الله عليك خصوصا إذا تحققت أن الذي يواجه الله ولا يعرف التوحيد أو عرفه و لم يعمل به أنه خالد في النار ولو كان من أعبد الناس...إلخ. وبهذه المغالطة نسف ابن عبد الوهاب التوحيد من أساسه وأتى على أصل الإسلام من القواعد إذ جعل توحيد الكفار توحيد الربوبية أي أنهم أقروا بالربوبية، وهذا كذبٌ قبيح وزعمٌ باطل ردَّه الله عليه وأكذبه فيه، وأثبت تعالى أن الكفار كفروا بالربوبية كما حكى عن عاد ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا **كَفَرُواْ رَبَّهُمْ**﴾ وكذلك ثمود ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ **كَفَرُواْ رَبَّهُمْ**﴾ وحكى تعالى قول

الكفار يوم القيامة ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقال عز وجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ أي كفروا بالآيات الدالة على الربوبية! وقال تعالى ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وبهذا يتبين فساد دعوى [توحيد الكفار توحيد الربوبية] وأن الرسل لم تخاصم المشركين في توحيد الربوبية كما يزعم ابن عبد الوهاب! ولو كان توحيد الربوبية متحققاً عندهم، ما صحَّ أن يؤخذ عليهم الميثاق بهذا ولا صح أن يقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ ولما صحَّ سؤال الملكين للميت عن ربه: (من ربك؟) كما جاء في صحيح الإمام مسلم. والحق أن الوهابية بهذا الزعم الباطل أعادوا الخوارج وصيّروا المسلمين كفاراً يستوون مع عباد الأوثان. لقد بعثت الرسل لتقرير توحيد الربوبية من لدن آدم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين وما يُقال لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما قد قيل للرسل من قبله كما قال سبحانه ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

والقرآن يقرّر الوشيجة بين الربوبية والإلهية والمُلك غاية البيان ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ فالربوبية حقيقة بدهية للمُلك، والمُلك حقيقة بدهية للألوهية، وهذا هو دين الإسلام الذي لا يقبل الانقسام والتجزئة لأنها أرجحة واضطراب بين الهدى والهوى وهما نقيضان لا يجتمعان أبداً على المدى...وقد بين المولى جل شأنه في خاتمة كتابه هذه الحقيقة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ وقال سبحانه ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ ثم استتبع بوصف إيمانهم بالربوبية والألوهية ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا﴾ وهذا دليل على أن [الرب] و[الإله] في القرآن كلمتان مترادفتان معناهما واحد، قال تعالى ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ونظيره قوله جل شأنه ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ﴾ ولّما أعدَّ الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم للمهمة الكبرى وضع له أسس التوحيد ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ وروى ابن السني عن

عمرو بن معدي كرب قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (من قال حين يصبح: الحمد لله ربي لا أشرك به شيئاً أشهد أن لا إله إلا الله، ظل مغفورا له، ومن قالها حين يمسي بات مغفورا له). فالله تعالى هو الرب، والرب هو الإله فهما متلازمان يقع كل منهما موقع الآخر في الكتاب والسنة وقد أشار القرآن الكريم والسنة المستفيضة إلى تلازم توحيد الربوبية والألوهية.

قال تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ومعنى اتخاذهم أرباباً من دون الله أنهم أقروا لهم بحق التشريع والإفتاء والتحليل والتحريم ومنحوهم خاصية من خصائص الربوبية والألوهية وخالفوا ما أمروا به من التوحيد، وقد سمّى سبحانه كل من يُتخذ أو يطاع أو يُدعى أو يُتبع من دون الله رباً وإلهاً.

ورسالة المسيح عيسى إلى بني إسرائيل تلخصت أيضا في الدعوة إلى توحيد الألوهية والربوبية الذي هو الإسلام بكلماته الملقاة من عنده سبحانه، وقد حرَّفه أحبار بني إسرائيل بالأمس كما حرفوه

اليوم ﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾. ونسوق ما كتبه محمد بن عبد الوهاب كما جاء في الأجوبة النجدية: والتوحيد نوعان: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، **أما توحيد الربوبية: فهو الذي أقرت الكفار به** ولم يكونوا به مسلمين وهو الإقرار بأن الله الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور، والدليل قوله تعالى ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ **وأما توحيد الألوهية: فهو إخلاص العبادة كلها بأنواعها لله**؛ فلا يدعى إلا الله ولا يرجى إلا هو ولا يستغاث إلا به ولا يتوكل إلا عليه، والدليل عليه: الآيات الكريمات، ولا ينذر إلا له ولا يذبح ذبح القربات إلا له وحده لا شريك له، والدليل على ذلك: الآيات الكريمات وهذا: هو معنى لا إله إلا الله فإن الإله هو المألوه والمعبود فمن جعل الله إلهه وحده وعبده دون من سواه من المخلوقين فهو المهتدي، ومن قاسه بغيره وعبده وجعل له شيئا مما

تقدم من أنواع العبادة كالدعاء والذبح والنذر والتوكل والاستغاثة والإنابة فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وأشرك مع الله إلها غيره فصار من المشركين الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ وفي الآية الأخرى ﴿**إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ**﴾!!! اهـــ. وهذا التحريف يأتي على أصل الدين من القواعد ويشوّه دعوة الإسلام وهو أعظم تحريف في تاريخ الأمة بل أخطر قول تم تمريره منذ أن بعث الله سيدنا محمداً هادياً ومعلماً ورسولاً...إنّ من يدَّعي الربوبية يدَّعي أنّ له الأحقية بحكم الأرض وعلى هذا الأساس الواضح يجب أن نفهم مدلول قول فرعون ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أي الحاكم المسيطر الذي يسيّرهم كما يشاء فيتبعونه بلا معارض، وهذه الربوبية على هذا الواقع حاكمية كما يفيد المدلول اللغوي، فالرب هو الذي ينفذ حكمه فيهم سواء قالها أم لم يقلها، وفرعون لم يدّعِ أنه خالق هذا الكون ومدبره إنما كان يدّعي الحاكمية على الشعوب التي كانت تعبده بالخضوع لحُكمه وسلطانه، وقد اتخذ آلهة وشركاء من دون الله لينازع بهم

سلطان الله في الأرض كما أشارت الآية ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ ونظير هذا في الحديث عند الإمام أحمد: (إن من ورائكم الكذاب المضِلّ وإن رأسه من ورائه حُبُكٌ حُبُكٌ وإنه سيقول: أنا **ربكم**، فمن قال: كذبت لست ربنا ولكن الله ربنا وعليه توكلنا وإليه أنبنا ونعوذ بالله منك، قال: فلا سبيل له عليه) وأما مسألة الخلق فلم يدَّعِها الكفار كما حكى تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

وقد أخبر المولى أن بني إسرائيل لُعنوا في الزبور والإنجيل ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ وروى الطبري عن ابن عباس قوله ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ قال: لعنوا على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن. ويبدو أن تاريخ بني إسرائيل في الشرك والكفر واللعنة عريق، وأن أنبياءهم الذين أرسلوا لهدايتهم وإنقاذهم هم في النهاية الذين تولوا لعنتهم وطردهم من

هداية الله فسمع الله دعاءهم وكتب السخط واللعنة على بني إسرائيل فمُسخوا قردة وخنازير، ولم يكن ذلك اللعن الشنيع إلا لأجل هذا الشرك الذي فسَّره بقوله ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ وأهل الكتاب لم يبينوا معنى الآية ولم يعرجوا على ربط المناسبة بين ما يفسر به المنكر وبين السياق المسوق له الكلام وهو الشرك في الحُكم – المنكر الأكبر الذي تنبع منه كل المنكرات! منكر الجرأة على الله! منكر رفض ربوبية الله تعالى وجحد ألوهيته عز وجل – حتى كأنهم بصدد تفسير آية ليست واقعة في كلام يجب التِئامُه ويَحق وِئامه، وهذا المنكر الكبير الأساسي الجذري هو الذي يجب أن يتجه إليه الإنكار قبل الدخول في المنكرات الجزئية التي هي تبعٌ لهذا المنكر الأكبر وعَرضٌ له، وإن من الاستهزاء بالدين أن تُقرَّر فروعه وتُهدم أصوله! والآية مفسرة لما قبلها من معصية الشرك والاعتداء على ربوبية الله وألوهيته عز وجل.

وقد ذكر ابن عبد الوهاب – كما ورد في كتاب الجواهر المضية – أن توحيد الربوبية هو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء وغيرهم وهذا حق لا بد منه **لكن لا**

يدخل الرجل في الإسلام بل أكثر الناس مقرّون به...وقال في موضع آخر: **أما توحيد الربوبية فيقر به الكافر والمسلم**، وأما توحيد الألوهية فهو الفارق بين الكفر والإسلام...وقال في موضع آخر: **وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدْخِلهم في الإسلام**...إلخ! وهذا من الزيغ والإلحاد بمكان! فنعوذ بالله من فتنة المغضوب عليهم وضلال الضالين. لقد سلك نمروذ مع إبراهيم طريق المغالبة في الحجّة إذ جعل محاجته في الربوبية جزاء على أن آتاه ربه الملك! وهذا لا يفعله إلا من انتكست فطرته وانحرفت طبيعته، وهذا دأب الدجالين والأئمة المضلين! قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ وقد أقام إبراهيم عليه السلام الحجة الدامغة على نمروذ وبيّن له أن الرب الذي يستحق أن تكون له السلطة العليا في الأرض هو خالق السماوات والأرض، ولما عرَّفه إبراهيم بربه قائلاً ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي المتصرف فيك وفي أشباهك بما لا تقدر عليه أنت ولا أشباهك من هذين

الوصفين العظيمين المشاهدين للعالم اللذين لا ينفع فيهما حيل الحكماء ولا طب الأطباء، أنكر اللعين وعارضه بضرب من المغالطة فدعا برجلين فقتل أحدهما وعفا عن الآخر، فلما رأى إبراهيم عليه السلام غلطه وتشغيبه انتقل من الاستدلال على ربوبية الله في الأرض إلى الاستدلال على ربوبيته تعالى في العوالم العُلوية وهذا برهان ودليل ناهض مبكت للمخالف وهي حجة موسى لفرعون ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ والمشركون الجُدد كالقدامى، وقد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن أكثر الناس كفروا بتوحيد الربوبية، كما روى الترمذي عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ: قرأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ قال: (قد قال الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام). وقد أثنى المولى عز وجل على عباده الحنفاء وعظَّم شأنهم فقال عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ والمراد وصفهم بتوحيد الربوبية وأنهم يؤمنون بالآيات الداعية إلى توحيد الربوبية، والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للإشعار

بعليتها وأهميتها، وذلك العنوان يصلح لأن يكون حجة على الفراعنة الجُدد، فإن الله لّما أرسل موسى إلى فرعون أمره بالدعوة إلى توحيد الربوبية ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾ وجعل الخشية مؤخرة عن الهداية إلى الربوبية ومفرعة عليها وأومأ إلى كونها آية كبرى لأنها أصل المعجزات الحسية! ولّما ذكر سبحانه في سورة آل عمران مُلكه العظيم وختم بشمول قدرته ونبّه على التفكر في هذا المُلك الموجب للتوحيد نَوّه تعالى بأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فأوصلهم التفكر في خلق السماوات والأرض إلى إجابة دعوة الرسول والاعتراف بربوبية الله ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ﴾ وقد تكرر قولهم ﴿رَبَّنَا﴾ خمس مرار، وهذا الإيمان يتْبَعه عمل يصدقه ولذلك فرّع عليه قوله ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾.

والربوبية هي القضية الدائمة التي تدور عليها معركة الإسلام مع الجاهلية...ونسوق ما كتبه محمد بن عبد الوهاب في الرسالة الحادية والعشرين: واعلم أرشدك الله أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة هي: توحيد الله وحده والكفر بالطاغوت كما قال تعالى ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ والطاغوت هو الذي يسمى [السيد] الذي يُنخى ويُنذر له ويُطلب منه تفريج الكربات غير الله تعالى وهذا يتبين بأمرين عظيمين: الأول: **توحيد الربوبية** وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو؛ وهذا حق **ولكن أعظم الكفار كفراً الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون به ولم يدخلهم في الإسلام...!!!** وقال في الرسالة المفيدة ما يلي: **أما توحيد الربوبية فهو الذي أقر به الكفار على زمن رسول الله ﷺ ولم يدخلهم في الإسلام وقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستحل دماءهم وأموالهم وهو توحيده بفعله تعالى...!!!**

وجاء في الرسالة الثانية والعشرين لمحمد بن عبد الوهاب ما يلي: واعلم أن التوحيد: هو إفراد الله سبحانه بالعبادة، وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذي كسر صور الصالحين أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله تعالى ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين...ثم قال: وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله تعالى بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله.!!! انتهى.

وجاء في الأجوبة النجدية: فقولك: لا إله إلا الله نفي وإثبات; فتنفي الألوهية كلها وتثبتها لله وحده; فمعنى الإله في زماننا: الشيخ

والسيد الذي يقال فيهما أو غيرهما: سر ممن يعتقد فيهم أنهم يجلبون منفعة أو يدفعون مضرة; فمن اعتقد في هؤلاء أو غيرهم نبيا كان أو غيره فقد اتخذه إلها من دون الله. وجاء في الرسالة الرابعة: فإذا قيل لك: إيش الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؟ فقل: توحيد الربوبية فعل الرب مثل الخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر وإنبات النبات وتدبير الأمور، وتوحيد الإلوهية فعلك أيها العبد مثل الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة والنذر والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادة. وقال في الرسالة المفيدة: والأصل الثاني: وهو توحيد الألوهية، فهو الذي وقع فيه النزاع في قديم الدهر وحديثه، وهو: توحيد الله بأفعال العباد كالدعاء والرجاء والخوف والخشية والاستعانة والاستعاذة والمحبة والإنابة والنذر والذبح والرغبة والرهبة والخشوع والتذلل والتعظيم. وجاء في الأجوبة النجدية ما نصه: وأما توحيد الألوهية فهو: إخلاص العبادة لله وحده من جميع الخلق لأن الإله في كلام العرب هو الذي يقصد للعبادة وكانوا يقولون: إن الله هو إله الآلهة لكن يجعلون معه آلهة أخرى مثل الصالحين والملائكة وغيرهم ;

يقولون: إن الله يرضى هذا ويشفعون لنا عنده، فإذا عرفت هذا معرفة جيدة تبين لك غربة الدين ; وقد استدل عليهم سبحانه بإقرارهم بتوحيد الربوبية على بطلان مذهبهم. ثم نقضوا ما غزلوا وعادوا ليقولوا في موضع آخر: بل الظاهر عندنا وعند غيرنا أن شركهم اليوم أعظم من ذلك الزمان بل قبل هذا كله أنه مكث أهل الأرض عشرة قرون على التوحيد حتى حدث فيهم الغلو في الصالحين فدعوهم مع الله فكفروا فبعث الله إليهم نوحا عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد فتأمل ما قص الله عنهم وكذلك ما ذكر الله عن هود: أنه دعاهم إلى إخلاص العبادة لله لأنهم لم ينازعوه في أصل العبادة وكذلك إبراهيم دعا قومه إلى إخلاص التوحيد **وإلا فقد أقروا لله بالإلهية**!!! وقال عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: وأما توحيد الإلهية، الذي جحده مشركوا قريش والعرب ابتداء فما عرفوا التوحيد وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم فلهذا وقع الأكثر في الشرك الأكبر المنافي لهذا التوحيد بدعوتهم الأموات في الرغبات والرهبات والاستغاثة بهم في المهمات فإذا لم ينكر العلماء هذا الشرك ولا عرفوا الإخلاص الذي هو

الدين الذي شرعه الله للأنبياء والمرسلين وقعوا في الشرك وتبعهم على ذلك الخلق الكثير والجم الغفير. انتهى. ومن خلال هذا التلبيس يتبين موقف الأئمة المضلين وما يتعمدون إلقاءه في الأمة المسلمة من شبهات ماكرة لاضطراب العقيدة وتفريق الصف، وهذا التلبيس جزء من المعركة الشاملة بين الأمة وأهل الكتاب الذين كانوا يتربصون بها الدوائر ويتحفزون من حولها ويسعون إلى إضلالها لخباثة نفوسهم وشدة بغضهم المرتكز في قلوبهم حسداً عليها وعلى ظهور دينها فيحرفونها تغريراً وتلبيساً عن جادة الشريعة وسبيل التوحيد، وهم في الحقيقة إنما يهلكون أنفسهم وما يتخطاهم الإضلال ولا يعود وباله إلا إليهم لجحودهم الحق وخروجهم عن الملة مع تمكنهم من العلم بإيضاح الحجج وإنزال الكتب وإرسال الرسل.

لقد هزَّ يوسف عليه السلام بقوله ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ كل قوائم الشرك والجاهلية الخدّاعة هزاً عنيفاً، واستمال صاحبيه بحسن حديثه ونبله، فسألاه أن يعبّر لهما رؤياهما فأنبأهما بأمور غيبية وأخبرهما أن ذلك العلم هو

فضل إلهيٌّ يؤتيه من يشاء ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ وجعل ذلك تخلصاً إلى ذكر التوحيد وتقبيح الشرك إليهما، وبدأ بمتاركة الكفار ليعلمهما نهج التوحيد ومقام التجريد فيتبعاه ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وعبر بالترك مع أنه لم يتلوث بتلك الملة قط استجلاباً لهما لأن يتركا ملة الملك وأتباعه، ونظير هذا ما حكاه سبحانه ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ وقال تعالى ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقال المولى جل وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ إذ لا لقاء بين الحق والباطل، إما شرك وإما إسلام، إما جاهلية وإما إيمان ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ ثم مضى يوسف بعد بيان معالم ملة الكفر ليبيّن معالم ملة الإسلام والإيمان التي يتبعها ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ولمّا أقام لهما الدليل على ما هو عليه من

الدين الحنيفي من مفارقة الشرك في الحكم والعبادة ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ أتبعه بإرشادهم إلى البرهان الأعظم الدالّ على فساد كل ملة غير الإسلام تأييداً لأدلة النقل بقاطع العقل، فقال منادياً لهما باسم الصحبة بالأداة التي تقال عند ما له وقع عظيم في النفوس ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ وكان قومهما يظهرون التوحيد ويبطنون الشرك، وقد أثبت بعض المؤرخين المصريين اعتراف القبط بإله واحد! وعامة الناس لا يتصورون تعدد الأرباب والآلهة على غير الأصنام والكواكب وأمثالها، وذلك هو شأن سائر أديان الشعوب فإن الشرك ينشأ عن مثل ذلك الخيال فيصبح تعدد الآلهة والأرباب محصوراً فيها. والأمم الجاهلة تتخيل هذه الاعتقادات من تخيلات نظام ملوكها الذين استخلفهم الله تعالى في الأرض! ولّما ذكر يوسف ما هو عليه من الدين الحنيفي تلطف في حسن الاستدلال على فساد ما هم عليه وأخذَ بيسير الحجة قبل كثيرها، فمن الحكمة في محاجة الجهلة أن يؤخذوا بدرجة يسيرة من الاحتجاج يقبلونها، فإذا قبلوها لزمتهم درجة أخرى فوقها ثم كذلك أبداً حتى يصلوا إلى الحق، لتفاوت درجاتهم في الفهم فإنهم

إن أخذوا بجميع الفكرة الذي يساقوا إليها دفعة عاندوها، وبعد أن أثار لصاحبيه الشك في صحة إلهية الأرباب المتعددين انتقل إلى إبطال تأثيرها بقوله ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن تلك الأرباب لا تحقق نصراً ولا تدفع ضراً ولا تزيد قوة ولا تجلب سلطاناً وغلبة كما حكى تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فهذه الأرباب ليست من الربوبية في شيء وليس لها من حقيقة الربوبية شيء، فالربوبية لا تكون إلا لله الواحد القهار الذي يخلق ويقهر كل شيء، ولكن الفراعنة يسمون من عند أنفسهم أسماء ويخلعون عليها صفات وينازعون الله فيها الحكم والسلطان! والله لم يجعل لها سلطاناً ولم ينزل بها من سلطان، فالحكم والسلطان لا يكون إلا لله، وهو مقصور عليه سبحانه بحكم ربوبيته وألوهيته، إذ الحَكَمية من خصائص الربوبية والإلهية، ومن ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ربوبيته وألوهيته! وقد بيّن يوسف عليه

السلام أنه لا يمكن تحقيق توحيد العبادة إذا كان الحكم لغير الله ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ والمعنى اللغوي للعبادة هو الدينونة والخضوع والذل، وأما المعنى الشرعي فهو الإتيان للأعمال والأقوال بنية العبادة لمن يعتقد فيه شيئاً من صفات الربوبية أو خصائصها. وحين نفهم معنى العبادة على هذا النحو نفهم لماذا جعل يوسف اختصاص الله بالعبادة تعليلاً لاختصاصه بالحكم، إن منازعة الله في الحكم تخرج المنازع من دين الله – حكماً معلوماً من الدين بالضرورة – لأنها تخرجه من عبادة الله وحده، وهذا هو الشرك الذي يخرج أصحابه من دين الإسلام قطعاً، ومزاولة الحاكمية تعبيد للناس مخالف للأمر بعبادة الله وحده، وتحديد معنى العبادة بأنها الخضوع والإذعان للربوبية، وتعريف الدين القيم بأنه إفراد الله سبحانه في الحكم والعبادة فهما متلازمان ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي ذلك الدين لا غيره مما أنتم عليه وهو تعبير يفيد القصر، وقد بيّن تعالى أن الحكم أصل التوحيد وأساس الدين وقاعدته وقوام دعوة الرسل وجميع الشرائع جاءت لحفظه وتحقيقه وصيانته، فقال سبحانه بعد أن ذكر ثمانية عشر نبياً ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن

يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمَا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ أي آتيناهم العلم والحكم إشارة إلى أنه تعالى جعلهم حكاماً على الناس نافذي الحكم فيهم ثم أردف بذكر النبوة وهي الدرجة العالية الرفيعة الشريفة التي يتفرع على حصولها حصول مرتبتي الحكم والعلم كما حكى تعالى عن داود وسليمان عليهما السلام ﴿وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمَا وَعِلۡمَا﴾ وموسى عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمَا وَعِلۡمَا﴾ ويوسف عليه السلام ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمَا وَعِلۡمَا﴾ ولما رأى الملك رؤياه وأعضل على الملإ تأويلها، تذكَّر الناجي من القتل تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه، وطلبه إليه وذكَرَه عند الملك فرأى الملك نبل التعبير وحسن الرأي فعظم في نفسه وقال ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ فإن قيل: بماذا كلمه؟ قلنا: بما كلم به صاحبيه في السجن من الدعوة إلى توحيد الله، وما وقع في الكلام الأول يغني عن التكرار ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٧ وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ

ءَابَآءِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ... إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ فآمن الملك وقال ﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ وهذا ما يقتضيه كمال التوحيد وجزالة النظم الكريم، فجعله الملك في أرفع مكان في الدولة – مكان العزيز – فاحتفظ يوسف عليه السلام أدباً منه المكانة للعزيز الذي نشأ في قصره وقال للملك ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ فأنقذ الله به شعب مصر من الشرك والجوع والظلم فكان مثالاً للحاكم المسلم العادل، ثم ضمّ إليه أخاه في الوزارة بكيد وحيلة كما حكى سبحانه ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي ما كان ليأخذ أخاه ويضمه إليه في سلطان الملك إلا بحيلة أوحاها الله إليه ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ وأسند الكيد إلى الله لأنه ملهمه فهو مسبّبه، إذ جعل يوسف السقاية في متاع أخيه ثم أخبرهم بفقد صواع الملك، والصواع غير السقاية، وفي معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب.

لقد صوّر أصحاب الدعوة الوهابية مدلول (الدين) ومدلول (الإسلام) في نفوس الناس بأنه شعائر تعبدية! وهذا وهمٌ باطل

وانحسار وانكماش بل تبديل وتغيير في مدلول الإسلام، إن مدلول الإسلام هو إفراد الله في الحكم والعبادة والدينونة الكاملة لله في كل شأن ورفض الدينونة لغير الله في كل شأن، ولم يكن العربي الذي خوطب بهذا القرآن أول مرة يحصر مدلول الإسلام وهو يؤمر به في مجرد أداء الشعائر التعبدية بل إنه يوم خوطب به أول مرة في مكة لم تكن قد فرضت بعد شعائر تعبدية، إنما كان يفهم منه عندما يخاطب به أن المطلوب منه هو الاستسلام لله وحده في أمره كله وخلع الدينونة لغير الله من عنقه في كل أمره، وإنما أطلق لفظ الإسلام على الشعائر التعبدية باعتباره صورة من صور الدينونة لله في شأن من الشؤون...صورة لا تستغرق مدلول الإسلام بل إنها تجيء بالتبعية لا بالأصالة.

إن الدعوة الوهابية النجدية لم تكن زلة عالم أو خطأ مجتهد وإنما هي دعوة متكاملة الأركان قامت عليها مملكة عظيمة وفق نبوءات ازدحمت بها كتب السنة محذرة من خطر فتنتها التي تشبهت بالخداع والكيد والتحريف الذي احترفه أصحابها في أصل الدين وكنه الرسالة! وقد وقعت الأمة في شراك الذئاب لما تساهلت في شأن

التحذيرات النبوية فضيعت بذلك دينها ودنياها...ففي الجامع الصحيح للإمام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا: يا رسول الله وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: (هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان). وفي رواية عن عبد الله رضي الله عنه وعن أبيه قال: قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: (هنا الفتنة –ثلاثاً – من حيث يطلع قرن الشيطان). وفي صحيح الإمام مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: (رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان) يعني المشرق. والمعنى أن رياسة الكفر ومَنشأ اليهودية والنصرانية في أُمّة تطلع قِبَل المشرق، أراد نجداً وهي مشرق المدينة. فكيف يجيء التوحيد من مكان الفتنة؟ وكيف يطلع الخير من مطلع رأس الكفر وكيف ينبعث الإيمان من جهة أولياء الشيطان!؟ لقد طلع الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن

سعود وذريتهما ليؤسسوا دولة التوحيد من موطن الفتن (نجد) ويقيموا الدين في جزيرة العرب! في الوقت الذي كان فيه الروم يحاصرون المسلمين من كل مكان ويتخطفونهم تخطف العقبان للماشية الشاردة وقد تفتت دولتهم ودب إليها الوهن! ثم دخل أولياء الشيطان إلى مكة في نفس العام الذي أُعلن فيه انهيار الحكم الإسلامي العثماني 1924 ليعلنوا قيام دولة التوحيد مع قيام النظام العالمي الإبليسي الذي لم يترك شبراً من الأرض إلا بسط سيطرته عليه عبر شبكة الأمم المتحدة!!!

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الفتنة العظيمة كما جاء في صحيح ابن حبان من حديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال إنها ليست من فتنة صغيرة ولا كبيرة إلا تتضع لفتنة الدجال **فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها** وإنه لا يضر مسلماً مكتوب بين عينيه كافر مهجّاة ك ف ر) فتنة سوداء مظلمة مادتها الكذب والدجل والمكر والخديعة يتسمى فيها اللئيم باسم الكريم ويرتدي فيها الذئب جلد الحمل الوديع وتُعَنْوَنُ فيها

مقالة الشرك بعنوان التوحيد – الذي هو حق الله على العبيد!!! – ولذلك جاءت الوصايا مخللة بالتذكير والتحذير من التهاون في أمر هؤلاء الدجاجلة، وقد أخطأ الناس في حقيقتهم وظنوا تبعيتهم للغرب! وهذه ظنون فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتنطق به الآيات والآثار أنهم ملوك الأرض، كما جاء في صحيح الإمام مسلم: (وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها) وجاء في الحديث المتفق عليه: (إذا كانت الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها). قال تعالى ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ والفاء تفريع على الآية المتقدمة ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ ونظم الكلام: فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم فقد جاء أشراطها فاعلم أنه لا إله إلا الله. وتقديم جملة ﴿فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا﴾ يفيد الاهتمام. ونُنبّه على أنه لا بدّ من ارتباط نصوص الكتاب بالسنة بعضها مع بعض حتى تكون منتظمة المباني متسعة المعاني ويشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد متصل أولُه بآخره، ولا يصلح

الاستدلال بحديث إلا بعد استيفاء رواياته وضبط ألفاظه. وقد تَمثّل جبريل عليه السلام في صورة أعرابي، ومرَّة في صورة شابّ، ومرَّة في صورة دحية الكلبي، ولّما أدبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم) وقد اشتمل هذا الحديث على أصول الدين وكلياته حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، وإذا كان مفتاح العلم السؤال فإن جبريل لم يصدر منه سوى السؤال، ومع ذلك سماه معلماً إذ أن الفائدة من الحديث انبنت على السؤال والجواب معاً، فالسؤال نصف العلم، وهذا الحديث يصلح أن يقال له: أساس الدين لما تضمنه من الفقه والسؤال والنظر والبحث عن الحق واليقين على نحو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (شفاء العِيّ السؤال) وإذا كانت سورة الفاتحة أم القرآن بما تضمنت من علوم القرآن إجمالاً فإن حديث جبريل أم السنة بما تضمن من علوم السنة. والحديث ينبئ عن ميلاد الإسلام، وعن معركة مفروضة على الإسلام، لا خيار للمسلمين في خوضها، ويكشف عن صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلا، ولا يمكن فهم الدين بوضوح إلا بمراجعة نصوص

الكتاب والسنة على وفق الواقع التاريخي الحركي لهؤلاء الأعراب، وفرقٌ بعيد بين النظرة إلى النصوص كأنها قوالب في فراغ، والنصوص في صورتها الحركية.

مفهوم العبادة

العبادة لغة تطلق على العمل الدال على الخضوع المتقرب به لمن يعظمه باعتقاد تأثيره في النفع والضر واعتقاد الجاه العظيم الذي ينفعه في الدنيا والآخرة وهي التي نهى الله سبحانه عنها أن تقع لغيره ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن أهل الكتاب عبدوا الملائكة والنبيين وما أطاعوهم ولكن في الشرع صارت اسماً لكل طاعة لله أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم فالعبادة بهذا المعنى لا يستحقها إلا من يكون واحداً في ذاته وصفاته الذاتية والفعلية. قال الإمام الرازي: لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين أحدهما: غاية التعظيم ولذلك قلنا: إن صلاة الصبي ليست بعبادة لأنه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله في غاية التعظيم والثاني: أن يكون مأموراً به ففعل اليهودي ليس بعبادة وإن تضمن نهاية التعظيم لأنه غير مأمور به والنكتة الوعظية فيه أن فعل الصبي ليس بعبادة لفقد

التعظيم وفعل اليهودي ليس بعبادة لفقد الأمر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة ولا أمرٌ ولا تعظيم؟ وقال الإمام البقاعي: العبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم. اهـــ. فخرجت بذلك عبادة اليهود والنصارى لأنهم اتبعوا أهواءهم وابتدعوا ديناً محدثاً قام به أحبارهم وخاصتهم ودان به جمهورهم فخلطوه بالحق! واعلم أن الله تعالى لما نهى القوم عما هم مشتغلون به من عبادة غيره ووبخهم على وضع الشيء في غير محله وتعظيمهم غير أهله وبين لهم بالدلائل الواضحة عدم صلوحية ما اتخذوه من دونه لما اتخذوه إليه وكان الحامل لهم على ذلك اتباع أهوائهم والاسترسال مع أغراضهم وذلك مناف لعبوديتهم إذ العبد لا يتصرف في نفسه بمقتضى شهوته وغرضه وإنما يتصرف على مقتضى أمر سيده ونهيه، قصد سبحانه أن يخرجهم عن داعية أهوائهم واتباع أغراضهم حتى يكونوا عبيداً لله اختياراً كما هم عبيد له اضطراراً فوضع لهم الشريعة المطهرة وبين لهم الأعمال التي تعبدهم بها والطرق التي توصلهم إلى منافعهم ومصالحهم على الوجه الذي ارتضاه لهم

ونهاهم عن مجاوزة ما حدَّ لهم، فاخترعوا طريقة في الدين لم يسبق لها مثال وخالفوا قصد الشارع من وضع الشريعة واحتالوا على إطفاء نور الحقيقة وإضلال الناس وصدِّهم عن صاحب الشفاعة فبنوا على غير أساس ورضوا أخذ دينهم من صاحب وسواس! فقد جاء في رسالة حبرهم ابن عبد الوهاب مجدد الدعوة النجدية: واعلم أن التوحيد هو: إفراد الله سبحانه بالعبادة وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده فأولهم نوح عليه السلام أرسله الله إلى قومه لما غلوا في الصالحين: ودا وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وآخرهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي كسر صور هؤلاء الصالحين أرسله الله إلى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيرا ولكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينهم وبين الله تعالى يقولون: نريد منهم التقرب إلى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل: الملائكة وعيسى ومريم، وأناس غيرهم من الصالحين فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يجدد لهم دين أبيهم إبراهيم ويخبرهم أن هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شيء لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل فضلا عن غيرهما

وإلا فهؤلاء المشركون يشهدون أن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه لا يخلق ولا يرزق إلا هو ولا يحيي ولا يميت إلا هو وأن جميع السماوات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشهدون بهذا، فاقرأ قوله تعالى ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ وقوله تعالى ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ وغير ذلك من الآيات الدالات على تحقق أنهم يقرون بهذا كله وأنه لم يدخلهم في التوحيد الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون

في زماننا الاعتقاد كما كانوا يدعون الله سبحانه وتعالى ليلا ونهارا خوفا وطمعا ثم منهم من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين لأجل صلاحهم وقربهم من الله عز وجل ليشفعوا لهم ويدعو رجلا صالحا مثل اللات أو نبيا مثل عيسى وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم على ذلك ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ الآية. وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاتلهم ليكون الدين كله لله والدعاء كله لله والذبح كله لله والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادات كلها لله وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذي أحل دماءهم وأموالهم عرفت حينئذ التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون وهذا التوحيد هو معنى قولك: لا إله إلا الله فإن الإله عندهم هو الذي يقصد لأجل هذه الأمور سواء كان ملكا أو نبيا أو وليا أو شجرة أو قبرا أو جنيا لم يريدوا

أن الإله هو: الخالق الرازق المدبر فإنهم يقرون أن ذلك لله وحده كما قدمت لك وإنما يعنون بالإله: ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد فأتاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله والمراد من هذه الكلمة: معناها لا مجرد لفظها والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمة هو: إفراد الله بالتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك؛ فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من معنى هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمر إلا الله فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله. انتهى.

وحاصل ما اشتملت عليه رسالته مبحثان: الأول: في بيان نفاقه ومخالفة قوله فعله وذلك أنه وأشياعه من بني جلدته أشركوا

الشيطان وجنوده في الحكم واتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً وانتسبوا إلى غير آبائهم ثم مع هذا كله ادَّعوا أنهم أئمة التوحيد وشيوخ الإسلام وقد عيّرهم الله تعالى بقوله ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ والثاني: في بيان شبهاته وتحريفه للكلم عن مواضعه فإنه ذكر أنه يجب أن يفرَد الله سبحانه بالعبادة بمعنى أنه لا يتعلق بغيره في مطلب من المطالب تعلقاً غير عادي على أي وجه كان ذلك التعلق وأن أهل زمانه لما تعلقوا بالأولياء بعد وفاتهم بطلب الحاجات منهم ونذر النذور إليهم والذبح في مقاماتهم والاستغاثة بهم في ملماتهم، أشركوا بالله تعالى لأن ذلك التعلق عبادة لذلك الولي لأن طلب الحاجات دعاء وهو من أنواع العبادة التي لا تكون إلا لله ومثل ذلك النذر والذبح والاستغاثة إن كانت بمعنى الغوث فهي الدعاء وإن كانت بمعنى التوسل فالقصد نفع الجاه وهو الحامل على الأمور الأخرى فصاروا كأهل الأوثان العابدين لها لنفع جاهها، وقوله: (وعرفت أن التوحيد الذي جحدوه وهو توحيد العبادة الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) هذا هو المقصود بالذات إذ هو محل النزاع بيننا وبينه فعلى

إثباته ألّف الرسائل وأقام الدعاة وعلى نفيه أقمنا الآيات البينات، ويعني به أن تعلق أهل هذا الزمان بصلحائهم بالنذر والذبح في مقاماتهم والاستغاثة بهم في ملماتهم ونداتهم لقضاء حاجاتهم والتوسل بهم في مهماتهم مماثل لما كان عليه أولئك المشركون الذين أرسل إليهم السادات المرسلون في كون كلٍ من الأمرين عبادة أريد بها غير الله تعالى! وتصور الأمرين يرد قوله واعتقاده ولا يتوقف على دليل يوضح فساده فإن تعلق أولئك المشركين بآلهتهم كان على وجه الاستبداد والاستقلال من دون أمر الله وإرادته أي أنهم أقاموا آلهتهم مقام رب العالمين وأما أهل الإسلام فإن وجهتهم وتضرعهم إليه سبحانه وتعظيمهم له تعالى وإنما أقاموا صلحاءهم مقام الوسيلة إليه في قضاء حاجتهم مقرين بعبوديتهم وأنهم لا يملكون كشف الضر ولا تحويله ولا يطلقون عليهم الآلهة ولا الأرباب والفرق بين الحالتين مثل الصبح لذي عينين ومقصود هذا الحبر وأشياعه تكفير من تعلق بنبي أو ولي بنذر أو ذبح في مقامه أو طلب منه بعد وفاته شفاعة أو حاجة أو ناداه لملمة نزلت به أو توسل به إلى الله تعالى في جلب أو دفع! كما ذكر في كتاب

كشف الشبهات: فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا: "الاعتقاد" هو الشرك الذي نزل فيه القرآن وقاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس عليه فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا...إلخ. وقد اغتر بهم جمع غفير من المسلمين بسبب جهلهم بمفهوم العبادة وضعفهم باللغة فظنوا أن الحق مع هؤلاء فاتبعوهم حتى صرفوهم عن الملة السمحاء وصاحب الشفاعة والإسراء وأوصلوهم إلى هذه النهاية المزرية فضاهوا الخوارج فيما بنوا عليه واتحدوا معهم فيما ترجع بدعتهم إليه مِن قتلِ أهل الإسلام وإلحاقهم بعبدة الأوثان واستعمال الآيات النازلة في المشركين في عباد الله الصالحين كما جاء في صحيح الإمام البخاري أن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما كان يراهم شرار خلق الله وقال: إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

وأما مسألة النذر للأولياء فصورتها أن الإنسان إذا نزلت به شدة أو عرضت له حاجة عند الله تعالى يلتزم إن قضى الله حاجته بشيء لولي من الأولياء الأحياء أو الأموات، والناذر لا يقصد التقرب إلى الولي وإنما يقصد أحد أمرين: الأول: وهو الغالب أنه يخص الولي

ليدعو له لأن دعاءه مرجو الإجابة وبذلك يكون ظاهر فعله أنه من التبرعات وباطنه من المعاوضات لأنه أعطى شيئاً في مقابلة الدعاء وهذا من باب هبة الثواب وجوازها في الشرع مما زال عنه الارتياب ونظيره الإعطاء على الرقية للاستشفاء وقد علم وقوعه من الصحابة وإقرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم له في حديث الرقية المشهور. والثاني: أنه يقصد التقرب إلى الله تعالى بإكرام وليه يستنزل بذلك رحمة الله تعالى وموالاته حيث والى وليه فإذا عرضت له حاجة فزع إلى الصدقة لأنها تطفئ غضب الجبار وتحرى لها مظنة قبولها وطلب من الله قضاء حاجته بالتعريض لا بالتصريح لأن من والى من والاه الله كان جديراً بأن يكرمه ويتولاه كما أن من تعرض له بأذى فقد آذنه الله بالحرب وبذلك يكون فعله عبادة لله لا للولي لأنه متقرب لله غاية ما فيه أنه ابتغى إليه الوسيلة بإكرام ذلك الولي وهذا القدر لا يصيّر الولي معبوداً...فإذا تصورت المسألة فاعرضها على ما قررناه يظهر لك خبث شياطين الدرعية وكذبهم في دعواهم أن ذلك الصنيع عبادة للولي فكفَّروا المسلمين وانطلقوا إلى آيات نزلت فيهم وفي نظرائهم فجعلوها على المؤمنين كما جاء في الأجوبة

النجدية: ومن نذر للميت فقد جعله شريكا لله في عبادته ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾. اهـــ. وقولهم هذا ينبئ عن فرط جرأتهم وغرورهم! والتحقيق فيما قدمناه أن التكفير بالذبح إنما يكون إذا بلغ حد العبادة ولا يبلغ حدها إلا بتعظيم المذبوح له تعظيم المعبودات ومن المعلوم الذي لا يختلف فيه اثنان أن ناس هذا الزمان لا يقصدون بذبحهم تعظيم المذبوح له تعظيم المعبودات بل الملاحظ لهم في تعظيم الأولياء هو تعظيم الله تعالى فتقربهم إنما هو لله تعالى ويفعلونه على أنه عبادة له سبحانه فالإقدام على تكفيرهم مع احتمال أمرهم خروج عن مهيع الدين.

وأما التوسل والاستغاثة ودعاء الصالحين الذي نقمه المنافق الكتابي على المؤمنين فهو قولهم عند نهوضهم ونزول الشدة بهم: يا رسول الله أو يا سيدي فلان وما أشبه هذا الكلام فزعم الوهابي أن هذا دعاء لهم والدعاء عبادة لأنه مما تعبدنا الله به وكل ما هو كذلك لا يقع إلا لله وإلا كان كفراً بناء على أصله الفاسد كما جاء في الأجوبة النجدية: إذا عرفت أن معنى الله هو الإله وعرفت أن الإله

هو المعبود ثم دعوت الله أو ذبحت له أو نذرت له فقد عرفت أنه الله فإن دعوت مخلوقاً طيباً أو خبيثاً أو ذبحت له أو نذرت له فقد زعمت أنه الله. اهـــ. فنقول: الدعاء مشترك بين معان منها: النداء كقوله تعالى ﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ والنداء معناه: طلب إقبال المنادى وحضوره للمنادي. ومنها: الدعوة إلى الشيء كقوله تعالى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ومنها: التمني كقوله تعالى ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ ومنها: الطلب وعرَّفه بعضهم بأنه طلب الأدنى بالقول من الأعلى شيئاً ما ويشمل دعاء المخلوقين لبعضهم إذ طلب الحاجات كما يكون من الله سبحانه يكون من العبد فيما يملكه فإذا طلبه من هو أدنى منه كان دعاء. فهذه المعاني كلها يطلق عليها لفظ الدعاء في لغة العرب فإذا تقرر هذا ظهر لك أن الدعوة إلى الشيء والتمني مما لا يتوهم عاقل أنها لا تصح لأن تكون عبادة من حيث ذواتها وماهيتها وأن النداء كذلك إذا طلب حضور الشخص لدى المنادى لا تذلل فيه ولا تعظيم فإذا ما تعلقت همة الداعي بحصول المطلوب وتوجهت نيته لنيل المرغوب و لم يقصد التقرب بذلك الانكسار ولا تعظيم المطلوب تعظيم المعبود فهذا العمل لا يطلق عليه اسم العبادة وعلى

هذا يحمل طلب الحي فيما يقدر عليه إذ القصد هو نيل المطلوب لا التقرب والتعظيم المعتبران في العبادة فتحصل أن مجرد الدعاء أو النداء في قول بعضهم: يا رسول الله أو يا ولي الله أغثني لا يكون عبادة وإنما القصد منه التوسل به إلى الله وكذلك قولهم: مدد يا ولي الله فإن المدد مطلق العطاء والمراد: ادع الله أن يعطيني فأسند العطاء إليه لأنه بدعائه سبب في ذلك والعطاء يضاف إلى سببه ويضاف إلى مسببه وكثيراً ما يسند الفعل إلى السبب ومنه قوله تعالى ﴿وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا﴾ فإن المراد تسببوا في رزقهم بالتجارة ونظيره في الحديث عند أبي داود وابن خزيمة والحاكم: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقاً» وقرينة هذا المجاز فإن اعتقاد المسلمين أن لا تأثير لشيء من الكائنات لا نبي ولا ولي وقد نص علماء البيان أن عقيدة القائل مما تصلح أن تكون قرينة للمجاز العقلي الذي خرجنا عليه هذا الكلام فظهر أنه لا عبادة في شيء من ذلك لغير الله تعالى وإنما هو من قبيل التشفع والتوسل وبذلك يتبين أن قصود منافقي أهل الكتاب إضلال المسلمين وتكفيرهم وإيقاع الفتنة والعداوة والبغضاء بينهم حتى يضرب بعضهم رقاب بعض كما جاء في

الأجوبة النجدية: أن الاستمداد طلب المدد لا يكون إلا بالقلب واللسان والأركان وهذا هو الشرك في العبادة كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقال ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فتبين أن الاستمداد بغير الله كفر بالله. اهـــ.

وأما التفريق بين دعاء الميت والحي عند منافقي أهل الكتاب فمبني على اعتقادهم الفاسد أن الموت عدم محض لأنهم حسبوا أن لا بعث ولا نشور! يقولون بألسنتهم: آمنا بالله واليوم الآخر! وقلوبهم وأعمالهم تقول: إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين! وتكذيب العمل أبلغ من تكذيب اللسان. قال تعالى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ وقال جل شأنه آمراً بقتالهم ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ولما ذكر الحق في سورة غافر ما منّ به عليهم من إيراثهم الكتاب ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أردف ذلك بالإنحاء على جدالهم فيه ثم قال ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا

وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ والمراد بالناس هنا خصوص بني إسرائيل كما يقتضيه السياق. وقد جاء على لسان حبرهم ابن عبد الوهاب في كتاب كشف الشبهات قوله: ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله، إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعو الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف وهذا جائز في الدنيا والآخرة وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك فتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه ذلك في حياته وأما بعد موته فحاشا وكلا أنهم سألوه ذلك عند قبره بل أنكر السلف الصالح على من قصد دعاء الله عند قبره فكيف بدعائه نفسه. وجاء في الأجوبة النجدية: ومن أعظم الشرك والضلال: ما وقع في هذه الأمة من البناء على القبور ومخاطبة أصحابها بقضاء الأمور. وهذا الكلام موافق لاعتقادهم الباطل فإنهم في حقيقة أمرهم لا يؤمنون بالآخرة ولا يؤمنون بالغيب إذ قالوا لمنقذهم ورسولهم الأول ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ وأما أهل الإيمان فإنهم

يعتقدون أن الموت انتقال من دار إلى دار وأن من انتقل إلى عالم البرزخ من المؤمنين يعلم أحوال الأحياء غالباً وأن الإدراكات كالسمع والعلم ثابتة لسائر الموتى ولا يتوقف ذلك على البنية المخصوصة وإنما يتوقف على الحياة وهي ثابتة لأرواحهم وأن الأنبياء عليهم السلام وخيار الأمة أحياء حقيقة بأجسادهم كما كانوا في الدنيا بل حياتهم هذه أتم ففي الحديث الصحيح عند البيهقي وغيره: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» وكما أن الأنبياء يصلون في قبورهم فكذلك الأولياء فقد ذكر ابن الجوزي عن بعض أصحاب ثابت البناني أنه قال: والله الذي لا إله إلا هو لقد أدخلت ثابتاً لحده ومعي فلان فلما سوينا عليه اللبن سقطت لبنة فإذا هو يصلي في قبره. وروى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما حج مر بوادي عسفان فقال: «لقد مر بهذا الوادي هود وصالح وموسى عليهم السلام على بكرات حمر خطمهم الليف وعليهم العباء وأرديتهم النمار يحجون البيت العتيق» وكما أنهم يصلون ويحجون فكذلك يتصرفون بإذن الله تعالى فقد ذكر ابن القيم في كتابه

الروح: أن للروح المطلقة من أسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود إلى الله والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه فإذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف إذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في أصل شأنها روحا علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر. فثبت بهذا كله صحة عقيدة عامة المسلمين وصح بذلك ما رتبوا عليه من نداء أولياء الله تعالى وطلب دعائهم وحضورهم لهم لأن ذلك كله ممكن وواقع ويكفي في ذلك ما ثبت من أحاديث عرض الأعمال عليه صلى الله وسلم عليه فإنها تدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال ناظراً في أعمال أمته والاستغفار لهم والدعاء بكشف الكربات والتردد في أقطار الأرض بحصول البركات، ونحوه حديث توسل الأعمى وقصة العتبي ولما أصاب الناس قحط في زمن عمر جاء رجل إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول اللَّه استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا...والحديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف والبيهقي في الدلائل والخليلي في الإرشاد وصححه الحافظ

ابن حجر وما ثبت لنبينا من المزايا فلخواص أمته أنموذج منه فليس في ندائهم وطلب دعائهم ما يُنكر...قال الإمام الألوسي في تفسيره: لا ينبغي التوقف في أن الله تعالى قد يكرم من شاء من أوليائه بعد الموت كما يكرمه قبله بما شاء فيبرئ سبحانه المريض وينقذ الغريق وينصر على العدو وينزل الغيث وكيت وكيت كرامة له. وقال الإمام الزبيدي في اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: الدعاء بحصول الحاجات يطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم بعد مماته كما كان يطلب منه في حياته بل حياته هذه أتم وأكمل وإنه يعلم سؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه لهذا العالم وكذا في عرصات يوم القيامة وفي الجنة لأنه لا يزال في مقام الوسيلة يشفع عند ربه وهذا مما تواترت به الأخبار وقام عليه الإجماع. اهـــ. وهذا الإجماع الذي حكاه قاصم لظهور أولياء الشيطان وباقر لبطونهم ودال على فرحهم بما عندهم من العلم وثقتهم بعقولهم حيث تفطنوا واهتدوا إلى ما لم يهتد إليه علماء المسلمين على اختلاف أعصارهم وأقدموا على تضليلهم لأن هاته التي نقموها لا يخلو منها عصر ولا مصر والعلماء متوافرون ولم

يبلغنا إنكار ذلك إلا عن هؤلاء الذين قتلوا أنبياءهم وأنكروا عليهم وحرفوا كتبهم ونسبوا أقوالاً باطلة إليهم وإلى بعض علماء الإسلام كابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

يتبع...

https://thelastpromise.org/